ضوابط لفهم عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في ضوء القرآن والسُّنَّة
(دراسة تحليلية)

أ.م.د. محمد إدريس ميرغني خلف الله
كلية الآداب/ جامعة سنار/ السودان

Criteria of Understanding the belief of faith in fate and destiny in the light of Holly Quran and Sunnah: Analytical Study

Ass. Prof. Dr. Mohamed Idris Mirghani Khalafalla
Faculty of Arts\ University of Sinnar
abogtaiba1973@gmail.com

Abstract

This study discussed the belief of faith in fate and destiny, which is an important study for its association with the Islamic belief. The study aimed at finding out the truth of the righteous ancestors' approach in the belief of fate and destiny, then set the perfect criteria to help understand this belief, in order to correct Muslims belief associated with. The researcher adopted analytical method by following evidences encountered in the topic of the study and analyze them, and mentioning the related views of religious scholars. The study approved these results: the importance of considering criteria of understanding the Islamic belief. There is misconception about understanding the belief of fate and destiny among Muslims. The misunderstanding of fate and destiny is the reason beyond the laziness of performing worships. The study concluded in many recommendations: to teach - in details- the belief of fate and destiny to the school pupils. The concerned students should take all the related about mystical issues from the correct evidence depending on the understanding of the righteous ancestors.

Keywords: doctrine, faith, spend and much, Quran, Sunnah.

الملخص

تناولت هذه الدراسة عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وهي دراسة مهمة لارتباطها بالعقيدة الإسلامية. هدفت الدراسة إلى الوقوف على حقيقة منهج السلف الصالح في عقيدة القضاء والقدر، ومن ثم وضع ضوابط محكمة تعين على فهم هذه العقيدة، وذلك لتصحيح عقيدة المسلمين في ما يتعلق بها. سلك الباحث المنهج التحليلي بتتبع الأدلة التي وردت في موضوع الدراسة وتحليلها، ونقل أقوال أهل العلم فيها. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أهمية الاعتناء بالضوابط التي تعين على فهم العقيدة الإسلامية. هنالك خلل في فهم عقيدة القضاء والقدر عند عوام المسلمين. الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر من أسباب التكاسل عن أداء الطاعات. توصي الدراسة بعدة توصيات منها: تدريس طلاب المدارس عقيدة القضاء والقدر بنوع من التفصيل. يجب على طلاب العلم أخذ كل ما يتعلق بالمسائل الغيبية من الأدلة الصحيحة على فهم السلف الصالح.

الكلمات المفتاحية: عقيدة، إيمان، قضاء وقدر، القرآن، السُّنَّة.

المقدمة

إنَّ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان الستة، فيجب الاهتمام والعناية بها ومعرفتها، لذا جاء موضوع هذه الورقة العلمية يتعلق بهذا الركن من أركان الإيمان، ونورد فيها بإذن الله تعالي ما يتعلق بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في القرآن والسنة على فهم سلف الأمة.

أولاً: أهمية البحث:

تأتي أهمية الدراسة لأنها تتناول جانب من جوانب العقيدة التي لا تستقيم حياة الناس إلا بمعرفتها المعرفة المرتكزة على الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

ثانياً: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في الإنحراف لدى بعض المسلمين في زماننا هذا عن الفهم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر.

ثالثاً: أهداف البحث:

1. دراسة أدلة القضاء والقدر دراسة علمية تفصيلية تحليلية تستوعب كل ما ورد فيها.
2. الوقوف على حقيقة منهج السلف الصالح في عقيدة القضاء والقدر.
3. وضع ضوابط محكمة تعين على فهم عقيدة القضاء والقدر.
4. تصحيح عقيدة المسلمين في ما يتعلق بعقيدة القضاء والقدر.
5. الفائدة العظيمة التي تعود على الباحث بدراسة ما يتعلق بهذا الركن من أركان الإيمان.

رابعاً: منهج البحث:

سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي، بتتبع الأدلة التي وردت في موضوع الدراسة وتحليلها، ونقل أقوال أهل العلم فيها.

المبحث الأول: التعريف بالقضاء والقدر.

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر في اللغة:

أولاً: معنى القضاء في اللغة:

القضاء هو الحُكْم وأَصله قَضايٌ لأَنَّه من قَضَيْت إِلا أَنَّ الياء لما جاءت بعد الأَلف همزت، والجمع الأَقْضِيةُ والقَضِيَّةُ مثله والجمع القَضايا على فَعالَى وأَصله فَعائل وقَضَى عليه يَقْضي قَضاء وقَضِيَّةً الأَخيرة مصدر كالأُولى والاسم القَضِيَّة فقط، والقاضي معناه في اللغة القاطِع للأُمور المُحِكم لها واسْتُقْضِي فلان أَي جُعِل قاضِياً يحكم بين الناس وقَضَّى الأَميرُ قاضِياً كما تقول أَمرَ أَميراً وتقول قَضى بينهم قَضِيَّة وقَضايا والقَضايا الأَحكام واحدتها قَضِيَّةٌ، يقال قَضَى يَقْضِي قَضاء فهو قاضٍ إِذا حَكَم وفَصَلَ وقَضاء الشيء إِحْكامُه وإِمْضاؤُه والفراغ منه فيكون بمعنى الخَلْق[1].

ثانياً: معنى القدر في اللغة:

القدير والقادر من صفات الله عز وجل يكونان من القدرة ويكونان من التقدير، فالله على كل شيء قدير والله سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه، يُقال قدَّر الإله كذا تقديراً وإذا وافق الشيء الشيءَ قلت: جاءه قدره، والقدر القضاء والحكم وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور قال الله عز وجل:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[2] أي الحكم[3].

ثالثاً: معنى القضاء المقرون القدر في اللغة:

القضاء والقدر إذا اجتمعا في موضع واحد، فالمراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأنَّ أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقده[4].

ومما سبق فالقضاء أخص من القدر فالقدر تدبير والقضاء حكم، لذا الأصح أن يُقال القدر والقضاء وليس القضاء والقدر وذلك لأنَّ التقدير يسبق الحكم في وقوعه على الخلق.

المطلب الثاني: القضاء والقدر في الاصطلاح الشرعي:

مما سبق من تعريف القضاء والقدر في اللغة يتضح أنَّ عقيدة القضاء والقدر في المفهوم الشرعي هي أن يعتقد العبد أنَّ الله تعالى قد قدر الأشياء منذ الأزل وقضاها فهي عنده في اللوح المحفوظ وقدَّر وقضي وقوعها في زمنها المحدد بعلمه ومشيئته وقدرته وأمره.

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:(والقضاء والقدر أربع مراتب جاء بها نبيهم صلى الله عليه وسلم وأخبر بها عن ربه تعالى:

1 لسان العرب لمحمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، مطبعة دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، (1414 هـ)، (186/15).
2 سورة القدر الآية (1).
3 لسان العرب لابن منظور (74/5).
4 المرجع السابق (186/15).

الأولى: علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم.

الثانية: كتابته ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنَّه لا خالق إلا الله والله خالق كل شيء)[1].

والإيمان بالقضاء والقدر هو ركن من أركان الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام في قوله صلى الله عليه وسلم: (ونؤمن بالقدر خيره وشره)[2].

قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله:(والإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وكل ذلك قد قدَّره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه علم كل شي قبل كونه فجري على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا قد قضاه وسبق علمه به (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[3] يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله فكل ميسر بتيسير إلي ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد تعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو، رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم)[4].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله:(ذلك بأنَّه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر إليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، خلق الخلق بعلمه، وقدَّر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلاً، وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله)[5].

المبحث الثاني: أدلة القضاء والقدر:

للوصول إلي المفهوم الشامل لعقيدة القضاء والقدر، ومن ثم وضع الضوابط لهذه العقيدة، لا بد من إيراد الأدلة من الكتاب والسُّنَّة المتعلقة بها، مع ذكر أقوال أهل العلم من السلف الصالح ومن هم على منوالهم من العلماء، لذا يورد الباحث في هذا المبحث **الآتي:**

المطلب الأول: أدلة القضاء والقدر من القرآن الكريم:

أولاً: قوله تعالى:(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (51) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ)[6].

ثانياً: وقوله تعالى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)[7].

1 معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للعلامة: حافظ بن أحمد حكمي، بتحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، مطبعة دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى سنة (1410هـ - 1990م)، (3/950،951).

2 المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان،حديث رقم (8)، (1/36)

3 سورة الملك الآية (14).

4 الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (المتوفى: 1335هـ)، الناشر المكتبة الثقافية – بيروت، ص (12،13).

5 شرح العقيدة الطحاوية، للإمام صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، بتحقيق: أحمد شاكر، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى (1418 هـ)، ص (93-107).

6 سورة القمر الآيات (47-53).

7 سورة الرعد الآية (8).

ثالثاً: وقوله تعالى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)[1].

رابعاً: وقوله تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)[2].

خامساً: وقوله تعالى: (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)[3].

هذه الأدلة الخمسة متشابهة تصب في معنى واحد وهو أنَّ الله تعالى لم يترك الخلق سُداً بل كل شيء مقدَّر وموزون، فالآية الأولى قال في تفسيرها الإمام الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره إنَّا خلقنا كل شيء بمقدار قررناه وقضيناه وفي هذا بيان أنَّ الله جل ثناءه توعَّد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم في القدر مع كفرهم به، ثم روى بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "إنِّي أجد في كتاب الله قوماً يسحبون في النَّار على وجوههم يقال لهم: " ذُوقُوا مَسَّ سَقَر"[4] لأنَّهم كانوا يكذبون بالقدر وإنِّي لا أراهم فلا أدري شي كان قبلنا أم شيء فيما بقي[5].

وقال فيها الحافظ ابن كثير رحمه الله: (يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السُّنَّة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرْقة القَدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة)[6].

ومن أدلة القرآن الكريم على عقيدة القضاء والقدر أيضاً:

أولاً: قوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)[7].

ثانياً: وقوله تعالى: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[8].

ثالثاً: وقوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ)[9].

رابعاً: وقوله تعالى: (ما أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً)[10].

خامساً: وقوله تعالى: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[11].

وهذه الآيات أيضاً متشابهة تدل على معنى واحد وهو أنَّ المصائب التي تنزل على العبد من عند الله تعالى يقدِّرها بسبب كسب العبد أحياناً، وأحياناً ينزلها على العبد لحكمة يعملها هو سبحانه.

إذن المصائب والابتلاءات تنقسم إلي قسمين:

القسم الأول: مصائب تصيب العبد وليس له دخل فيها فهي أقدار كونية مثل الموت والمرض والفقر وبقية الكوارث، وهذه التي يجوز للعبد أن يحتج بالقدر فيها.

القسم الثاني: مصائب تصيب العبد جزاء على أفعاله مثل الهزيمة التي وقعت للمسلمين يوم أحد وهي سبب نزول الآية:(أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[12].

---

1 سورة الحجر الآيات (19-21).
2 سورة الأعلى الآيات (1-3).
3 سورة الأحزاب الآية (38).
4 سورة القمر الآية (48).
5 جامع البيان في تأويل القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى (1420 هـ /2000 م)، (22/605،604).
6 تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، بتحقق محمد حسين شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى (1419 هـ)، (7/446،447).
7 سورة الحديد الآية (22).
8 سورة التوبة الآية (51).
9 سورة آل عمران الآية (166).
10 سورة النساء الآية (79).
11 سورة آل عمران الآية (165).
12 سورة آل عمران الآية (165).

فالمصائب التي تنزل على العباد بسبب كسبهم، لا يجوز الاحتجاج بالقدر فيها لأنَّها من كسب العبد وإرادته وفعله ولأنَّ الاحتجاج بالقدر يكون في الأولى ولا يكون في الثانية التي تعتبر عيباً، فالاحتجاج بالقدر يكون في المصائب وليس في المعايب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: أولما أصابتكم مصيبة وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم قد أصبتم مثليها يعني يوم بدر، فإنَّهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلاً، وأسروا سبعين أسيراً، قلتم أنَّى هذا أي من أين جرى علينا هذا قل هو من عند أنفسكم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم أحد من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنَّى هذا قل هو من عند أنفسكم بأخذكم الفداء[1].

المطلب الثاني: أدلة القضاء والقدر من السُنَّة النبوية:

أولاً: عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:(بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم – ثم ذكر حديث جبريل المشهور– قال: فاخبرني عن الإيمان ؟ قال: أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت)[2].

هذا الحديث عمدة في الاستدلال على الإيمان بالقضاء والقدر بل سبب روايته في صحيح مسلم تؤكد ذلك، فعن يحي بن يعمر[3] قال: (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني[4]. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري[5] حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والأخر عن شماله فظننت أنَّ صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبد الرحمن إنَّه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنَّهم يزعمون أن لا قدر وأنَّ الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنِّي بريء منهم وأنَّهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنَّ لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم... فساق الحديث)[6].

وفي إطلاق هذا الصحابي الجليل أنَّ نفاة القدر لا تقبل منم نفقة فيه دليل على كفرهم كما قال الإمام النووي رحمه الله: (هذا الذى قاله بن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره القدرية. قال القاضي عياض رحمه الله: هذا في القدرية الأول الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات. قال: والقائل بهذا كافر بلا خلاف وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة. قال غيره: ويجوز أنَّه لم يرد بهذا الكلام التكفير المخرج من الملة فيكون من قبيل كفران النعم، إلا أنَّ قوله: ما قبله الله منه ظاهر فى التكفير فإن إحباط الأعمال إنَّما يكون بالكفر إلا أنَّه يجوز أن يقال في المسلم لا يقبل عمله لمعصيته وإن كان صحيحاً، كما أنَّ الصلاة في الدار المغصوبة

1 تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (139/2).
2 رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان،حديث رقم (8)، (36/1).
3 يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني الفقيه، العلامة، المقرئ، أبو سليمان العدواني، البصري، قاضي مرو، ويكنى: أبا عدي. حدث عن: أبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر - مرسلاً - وعن: عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعدة. وقرأ القرآن على: أبي الأسود الدئلي. توفي يحيى بن يعمر قبل التسعين. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (1405 هـ / 1985 م)، (4/441-443).
4 معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري، أول من قال بالقدر في البصرة. سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما. وحضر يوم (التحكيم) وانتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر فيها مذهبه. وعنه أخذ (غيلان). كان صدوقا، ثقة في الحديث، من التابعين. وخرج مع ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف، فجرح، فأقام بمكة، فقتله الحجاج، صبرا، بعد أن عذبه. وقيل: صلبه عبد الملك ابن مروان بدمشق، على القول في القدر، ثم قتله. توفي في سنة (80هـ /699م). الأعلام للإمام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو (2002 م)، (7/264).
5 حميد بن عبد الرحمن الحميري، شيخ، بصري، ثقة، عالم. يروي عن: أبي هريرة، وأبي بكر الثقفي، وابن عمر. موته قريب من موت سميه: حميد بن عبد الرحمن الزهري. ويروي أيضاً عن: سعد بن هشام، وأولاد سعد بن أبي وقاص. سير أعلام النبلاء، للذهبي (4/294).
6 رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان،حديث رقم (8)، (36/1).

صحيحة غير محوجة إلى القضاء عند جماهير العلماء بل بإجماع السلف وهي غير مقبولة فلا ثواب فيها على المختار عند أصحابنا والله أعلم)[1].

ثانياً: عن عبد الرحمن بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فو الذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنَّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النَّار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النَّار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنَّة فيدخلها)[2].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:(وفيه أنَّ الأعمال حسنها وسيئها أمارات وليست بموجبات وأنَّ مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء وجرى به القدر في الابتداء، قاله الخطابي)[3].

وقال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:(والمراد بهذا الحديث أنَّ هذا قد يقع في نادر من الناس، لا أنَّه غالب فيهم، ثم أنَّه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة، وأمَّا انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور، ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: "إنَّ رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي"4 ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النَّار بكفر أو معصية، لكن يختلفان في التخليد وعدمه؛ فالكافر يخلد في النَّار، والعاصي الذي مات موحداً لا يخلد فيها كما سبق تقريره. وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر، وأنَّ التوبة تهدم الذنوب قبلها، وأنَّ من مات على شيء حكم له به من خير أو شر، إلا أنَّ أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة والله أعلم)[5].

وهذا الحديث من الأحاديث التي تجعل المسلم يدعو الله الليل والنهار بأن يختم له بخير لأنَّ الأعمال بالخواتيم، ولا يدل الحديث على أنَّ الله تعالى يختم لهذا بالخير وذلك بالشر من غير كسب منهم بل كتابته سبحانه وتعالى لهذا وذلك إنَّما بما سبق من علمه سبحانه بخواتيمهم، فعلم الله ليس بمحدود، فهو سبحانه يعلم الحالة التي يموت عليها العبد فيكتب ذلك لما سبق من علمه لا بجبر منه بأن يفعلوا الخير أوالشر.

وهنالك رواية لهذا الحديث تزيل منه الإشكال وهي في الصحيحين تبين أنَّه يعمل بعمل أهل الجنَّة ولكن باطنه فيه دسيسة سوء، وذلك يعمل بعمل أهل النَّار ولكن في باطنه خصال كريمة تنجيه في آخر حياته. والحديث عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي عسكره ومال الآخرون إلي عسكرهم وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقالوا: ما أجزأ منَّا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما إنَّه من أهل النَّار) فقال رجل من القوم أنا صاحبه قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه قال: فجُرِح الرجل جُرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه

1 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية(1392هـ)، (156/1).

2 الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى: 256هـ)، بتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى (1422هـ)، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم (3208)، (111/4). ورواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث رقم (2643)، (2036/4).

3 فتح الباري للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المتوفى سنة(852هـ)، مطبعة دار المعرفة بيروت سنة (1379هـ) بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، (488/11).

4 قول الإمام النووي:(قال تعالى) يوهم بأنَّه من القرآن ولكنَّه من الأحاديث القدسية، فقد رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، حديث رقم (7015)،(2712/6)، ولفظه (لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إنَّ رحمتي سبقت غضبي).

5 شرح النووي لصحيح مسلم (193،192/16).

ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: (إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنَّة فيما يبدو للناس وهو من أهل النَّار، وإنَّ الرجل يعمل بعمل أهل النَّار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنَّة)[1].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (قوله " فيما يبدو للناس" إشارة إلي أنَّ باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأنَّ خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطَّلع عليها الناس، أمَّا من جهة عمل شيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النَّار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة)[2].

ثالثاً: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء)[3].

فهذا الحديث كسابقه يؤكد أنَّ الله تعالى قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، وهذا التقدير ليس له وقت بل هو أزلي، لأنَّ علم الله تعالى بالحوادث أزلي، أمَّا ما ذكر في الحديث وقيد بخمسين ألف سنة قال عنها الإمام النووي رحمه الله تعالى: (قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإنَّ ذلك أزلي لا أول له)[4].

وكتابة الله تعالى لهذه المقادير لا تؤثر البتة على أفعال العباد في دار التكليف لأنَّها إذا أثرت انتفى العدل وهذا محال، وكذلك تنتفي حكمة الأمر والنهي وهذا أيضاً محال، ولكي تتضح هذه المسألة نضرب هذا المثال وبالمثال يتضح المقال:

لو أنَّ معلماً متابعاً لتلاميذه ويعلم مدى فهم وإدراك كل منهم بسبب متابعته لهم خلال سنين طويلة، وهو يجتهد معهم ولا يفرِّق بينهم، وعندما قرب وقت الامتحانات كتب هذا الأستاذ أسماء تلاميذه وكتب أمام كل منهم درجة علمية، ظنَّها الأستاذ على حسب علمه بالتلاميذ، وكتب أمام بعضهم رسوب، ثم جاءت الامتحانات وظهرت نتائجها على حسب ما كتب الأستاذ، فجمع تلاميذه وهيئة التدريس وقال لهم: لقد فعلت كذا وكذا وكان كذا وكذا، فإذا قال التلاميذ الناجحون: شكراً يا أستاذ لقد نجحنا لأنَّك كتبت ذلك، يُقال لهم مجانين وكذلك إذا قال التلاميذ الراسبون: لقد فشلنا لأنَّك كتبتا كذلك، يُقال لهم مجانين، وذلك لأنَّ الأستاذ لم يطلعهم على ما كتب ولم يقصِّر مع من رسب، ولم يجتهد أكثر مع من نجح وإنَّما كتب ذلك لعلمه المسبق بأحوال تلاميذه، وهكذا كتابه الله تعالى لمقادير العباد من شقاء وسعادة، ولكن شتان بين علم الأستاذ بتلاميذه وعلم الله المطلق الذي لا يحده زمان ولا مكان.

رابعاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنَّة قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى ثلاثاً)[5].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (قال ابن عبد البر: "هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر، وأنَّ الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قُدِّر له بما سبق في علم الله"، وقال القرطبي إنَّما غلبه بالحجة لأنَّه علم من التوراة أنَّ الله تاب عليه فكان لومه له على ذلك نوع جفاء، كما يُقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء، ولأنَّ أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنَّه لم يكن فلا يُصادف اللوم من اللائم حينئذ محلاً. وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين وهو المعتمد. وقد أنكر القدرية هذا الحديث لأنَّه صريح في إثبات القدر السابق وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم لآدم على الاحتجاج به

1رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب لايقول فلان شهيد، حديث رقم (2742)، (1061/3). ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، حديث رقم (112)،(106/1).

2جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة (1422هـ - 2001م)، (173،172/1).

3 رواه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم (2653)، (2044/4).

4 شرح النووي لصحيح مسلم (203/16).

5 رواه البخاري،كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، حديث رقم (6614)، (126/8). ورواه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم (2652)، (2042/4).

وشهادته بأنَّه غلب موسى، فقالوا لا يصح لأنَّ موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه وقد قتل هو نفساً لم يؤمر بقتلها ثم قال رب اغفر لي فغفر له فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له. ولو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذي فرغ من كتابته على العبد لا يصح هذا لكان من عوتب على معصية قد ارتكبها فيحتج بالقدر السابق ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص والحدود ولاحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش، وهذا يفضي إلى لوازم قطعية فدل ذلك على أنَّ هذا الحديث لا أصل له **والجواب من أوجه:**

أحدها: أنَّ آدم إنَّما احتج بالقدر على المعصية لا المخالفة فإنَّ محصل لوم موسى إنَّما هو على الإخراج فكأنَّه قال أنا لم أُخرجكم وإنَّما أخرجكم الذي رتب الإخراج على الأكل من الشجرة والذي رتب ذلك قدَّره قبل أن أخلق فكيف تلومني على أمر ليس لي فيه نسبة إلا الأكل من الشجرة والإخراج المرتب عليها ليس من فعلي. قلت: وهذا الجواب لا يدفع شبهة الجبرية.

ثانيها: إنَّما حكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم بالحجة في معنى خاص وذلك لأنَّه لو كانت في المعنى العام لما تقدم من الله تعالى لومه بقوله "أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ "[1] ولا أخذه بذلك حتى أخرجه من الجنَّة وأهبطه إلى الأرض ولكن لما أخذ موسى في لومه وقدَّم قوله له "أنت الذي خلقك الله بيده وأنت وأنت لم فعلت كذا" عارضه آدم بقوله "أنت الذي اصطفاك الله وأنت وأنت" وحاصل جوابه إذا كنت بهذه المنزلة كيف يخفي عليك أنَّه لا محيد من القدر.

ثالثها: قال ابن عبد البر هذا عندي مخصوص بآدم لأنَّ المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعاً كما قال تعالى: " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[2] فحسن منه أن ينكر على موسى لومه على الأكل من الشجرة لأنَّه كان قد تيب عليه من ذلك وإلا فلا يجوز لأحد أن يقول لمن لامه على ارتكاب معصية كما لو قتل أو زنى أو سرق هذا سبق في علم الله وقدَّره علي قبل أن يخلقني فليس لك أن تلومني عليه، فإنَّ الأمة أجمعت على جواز لوم من وقع منه ذلك بل على استحباب ذلك، كما اجمعوا على استحباب محمدة من واظب على الطاعة.

رابعها: إنَّما توجهت الحجة لآدم لأنَّ موسى لامه بعد أن مات واللوم إنَ◌َما يتوجه على المكلف ما دام في دار التكليف فإنَّ الأحكام حينئذ جارية عليهم فيلام العاصي ويُقام عليه الحد والقصاص وغير ذلك)[3].

وقال الإمام النووي رحمه الله: (أي غلبه بالحجة وظهر عليه بها ومعنى كلام آدم أنَّك يا موسى تعلم أنَّ هذا كُتب عليَّ قبل أن أخلق وقدِّر عليَّ فلابد من وقوعه ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر، فلم تلومني على ذلك، ولأنَّ اللوم على الذنب شرعي لا عقلي وإذ تاب الله تعالى على آدم وغفر له زال عنه اللوم فمن لامه كان محجوجاً بالشرع، فإن قيل فالعاصي منا لو قال هذه المعصية قدَّرها الله عليَّ لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وإن كان صادقاً فيما قاله، فالجواب إنَّ هذا العاصي باقٍ في دار التكليف جارٍ عليه أحكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل وهو محتاج إلى الزجر ما لم يمت، فأمَّا آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة إلى الزجر فلم يكن في القول المذكور له فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل والله اعلم)[4].

والصواب في قصة آدم وموسى أنَّ موسى لم يلم آدم إلا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل لا لأجل أنَّ تارك الأمر مذنب عاص؛ ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنَّة؟ لم يقل: لماذا خالفت الأمر ولماذا عصيت؟ والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية...، وما زال أئمة الهدى من الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور وإن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي. فلو أنَّ رجلاً أنفق ماله في المعاصي حتى مات ولم يخلف لولده مالاً أو ظلم الناس بظلم صاروا لأجله يبغضون أولاده ويحرمونهم ما يعطونه لأمثالهم لكان هذا مصيبة في حق الأولاد حصلت بسبب فعل الأب فإذا قال أحدهم لأبيه: أنت فعلت بنا هذا قيل للابن هذا كان مقدوراً عليكم وأنتم

1 سورة الأعراف الآية (22).
2 سورة البقرة الآية (37).
3 فتح الباري لابن حجر (511،510/11)
4 شرح النووي لصحيح مسلم (203،202/16).

مأمورون بالصبر على ما يصيبكم والأب عاص لله فيما فعله من الظلم والتبذير ملوم على ذلك لا يرتفع عنه ذم الله وعقابه بالقدر السابق؛ فإن كان الأب قد تاب توبة نصوحاً وتاب الله عليه وغفر له لم يجز ذمه ولا لومه بحال لا من جهة حق الله؛ فإنَّ الله قد غفر له ولا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره بفعله إذ لم يكن هو ظالماً لأولئك فإنَّ تلك كانت مقدَّرة عليهم، وهذا مثال قصة آدم، فإنَّ آدم لم يظلم أولاده بل إنَّما وُلدوا بعد هبوطه من الجنَّة وإنَّما هبط آدم وحواء ولم يكن معهما ولد حتى يقال: إنَّ ذنبهما تعدى إلى ولدهما ثم بعد هبوطهما إلى الأرض جاءت الأولاد فلم يكن آدم قد ظلم أولاده ظلماً يستحقون به ملامة، وكونهم صاروا في الدُّنْيَا دون الجنَّة أمر كان مقدَّراً عليهم لا يستحقون به لوم آدم وذنب آدم كان قد تاب منه. قال الله تعالى: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى"[1]، وقال: " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ "[2] فلم يبق مستحقاً لذم ولا عقاب، وموسى كان أعلم من أن يلومه لحق الله على ذنب قد علم أنَّه تاب منه فموسى أيضاً قد تاب من ذنب عمله وقد قال موسى: " أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ "[3]، وآدم أعلم من أن يحتج بالقدر على أنَّ المذنب لا ملام عليه فكيف وقد علم أنَّ إبليس لعنه الله بسبب ذنبه؛ وهو أيضاً كان مقدَّراً عليه وآدم قد تاب من الذنب واستغفر فلو كان الاحتجاج بالقدر نافعاً له عند ربه لاحتج ولم يتب ويستغفر[4].

ويدل هذا أنَّ آدم عليه السلام حجَّ موسى عليه السلام لما أراد موسى أن يلومه على المصيبة التي أخرجته من الجنَّة والمصائب يصبر الإنسان عليها ويحتجَّ لها بالقدر، كمن ولد مقطوع اليد أو الرجل فهذا يجوز له أن يحتج بالقدر، ولكن من قطع يده بالسكين أو غيرها وهو مريداً لذلك لا يجوز له أن يحتج بالقدر لأنَّه مُلام شرعاً وعقلاً، ويترتب على فعله هذا العقوبة من الله تعالى، أمَّا الأول فلا كسب له في قطع يده ولا يترتب عليه ذنب ولا عقوبة بل ينال الأجر والثواب إذا صبر على ذلك القدر الكوني الذي نزل عليه.

خامساً: عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر)[5].

إنَّ الله تعالى أمر العباد باتخاذ الأسباب للوصول إلى النتائج وجعل الله تعالى الدعاء سبباً من أسباب كشف الكربة وزوال المحنة، فهو قيام بمحض العبودية لله تعالى من الإلتجاء إليه وسؤاله والتضرع بين يديه، فهذه عبادة يريدها الله من العبد فيبتليه ليرفع درجته بمثل هذه العبودية والتذلل، وهذا الدعاء يرد الله به القضاء، فقد قضى الله عز وجل أزلاً على العبد أموراً وعلم الله تعالى أنَّ العبد سيقوم بهذه العبودية وهي الدعاء فيرفعها عنه ليبين الله منته على عبده، وفيها من الحِكم مالا يُحصى قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[6].

عن سعيد بن جبير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يُدبِّر الله أمر العباد فيمحو ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت)[7].

وعن مجاهد قال: (يُنزِّل الله كل شيء في السُّنَّة في ليلة القدر فيمحو ما شاء من الآجال والأرزاق والمقادير إلا الشقاء والسعادة فإنَّهما ثابتان)[8].

---

1 سورة طه الآيتان (121،122).
2 سورة البقرة الآية (37).
3 سورة الأعراف الآية (155).
4 مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر (1416هـ/1995م)، (8/319-322).
5 سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1،2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية(1395 هـ / 1975 م)، أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، حديث رقم (2139)، (4/448). وقال الترمذي (حسن غريب).
6 سورة الرعد الآيتان (38،39).
7 جامع البيان للطبري (16/477).
8 المصدر السابق (16/479).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد قول ابن عباس ومجاهد السابقين وغيرهما: ومعنى هذه الأقوال: أنَّ الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد[1]: عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر"[2].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن أبطل حجج الذين يحاولون إبطال الأسباب المقدَّرة: (ونظير هؤلاء كالذين يظنون أنَّ ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدَّراً حصل بدون ذلك وإن لم يكن مقدَّراً لم يحصل بذلك، هؤلاء كالذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: "أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له"[3]... والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فإذا قال قائل: إن كان مقدَّراً حصل بدون السبب وإلا لم يحصل؟ جوابه: أنَّه مقدَّر بالسبب وليس مقدَّراً بدون السبب)[4].

وتغير الحوادث بسبب الدعاء لا يدل على أنَّ الله تعالى تغير علمه في تلك الحوادث، بل قد قضى الله تعالى وقدَّر دعاء الداعي ذاته ليدفع عنه بليه أو مصيبة، فالدعاء وقع بعلم الله وقدره والقضاء الثاني الذي قضاه بعد الدعاء أيضاً في علم الله تعالى وإنَّما حدثت هذه الأمور لحكم يريدها الله، منها معرفة فضل الدعاء والتضرع وهما من أرفع أنواع العبودية لله.

والقران الكريم فيه نماذج عدة لدعاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال تعالى: (وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ)[5].

وقال تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)[6].

وقال تعالى: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ(89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)[7].

وهذا إمام الأنبياء والمرسلين كذلك يسأل ربه يوم بدر فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللَّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنَّه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ"[8] فأمده الله بالملائكة)[9].

فهؤلاء أنبياء الله تعالى وهم أعرف الخلق بشرع الله تعالى وبقضائه وقدره وأمره وإرادته يدعون الله تعالى ويبتهلون إليه سبحانه، وقد استجاب الله تعالى لهم، فإذا كان الدعاء لا يؤثر لما لجأوا إليه، ولما مدحهم الله في قرآنه بأنَّهم فعلوا ذلك.

---

1 مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى (1421 هـ / 2001 م)، (111/37).
2 تفسير ابن كثير (404/4).
3 هذا الحديث رواه البخاري، كتاب التفسير، باب فسنيسره لليسرى، حديث رقم (4666)، (1891/4).
4 مجموع فتاوى لابن تيمية (139،138/8).
5 سورة الأنبياء الآية (76).
6 سورة الأنبياء الآيتان (88،87).
7 سورة الأنبياء الآيتان (90،89).
8 سورة الأنفال الآية (9).
9 رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، حديث رقم (1763)، (1383/3).

المبحث الثالث: ضوابط لفهم عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر:

وضعت هذه الضوابط استناداً على ما سبق من أدلة الإيمان بالقضاء والقدر من القرآن والسُّنَّة، وهذه الضوابط تعين على فهم هذه العقيدة، وترسخها في قلب العبد، فينجو بسببها إن شاء الله من شبهات الذين أنكروا القدر أو التبس عليهم فهمه، والضوابط هي:

1. الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان بالله تعالى، فيجب التسليم والرضاء به.
2. إنَّ الأقدار كلها من الله تعالى خيرها وشرها وحلوها ومرها.
3. علم الله تعالى أزلي فقد علم سبحانه الأُمور قبل حدوثها وقدَّرها، فجرت على ما قدَّره وأراده.
4. كتابة الله تعالى لأعمال العباد وتقديره الشقاء والسعادة لهم، إنَّما ذلك لعلمه بما سيعمل العباد، ولا يدل التقدير على جبرهم على ما فعلوا من خير أو شر.
5. الله خالق كل شيء خلق العباد وخلق أفعالهم.
6. إنَّ الاحتجاج بالقدر على المعاصي لا يجوز، لأنَّ الله تعالى أرسل الرسل وأقام الحجة على العباد، ولو كان الاحتجاج بالقدر جائزاً لما أرسل الرسل ولتساوى الخبيث والطيب والمؤمن والكافر والمطيع والعاصي.
7. لا يقع في ملك الله تعالى إلا ما أراده.
8. ما قدَّره الله تعالى وقضاه وكتبه في اللوح المحفوظ هو من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.
9. القدر ينقسم إلى كوني وشرعي، أمَّا القدر الكوني فيقع على العباد جبراً، ولا يتعلق به ثواب ولا عقاب، والقدر الشرعي قدَّره الله على العباد ويقع بإرادة العبد التي خلقها الله فيه، لذا يتعلق به الثواب والعقاب.
10. هنالك فرق بين المشيئة والإرادة، فالمشيئة لم تأتِ إلا لمعنى كوني، وأمَّا الإرادة فإنَّها تأتي لمعنى كوني ومعنى شرعي، والإرادة الكونية تكون فيما يحبه الله ويسخطه، وأمَّا الإرادة الشرعية فلا تكون إلا فيما يحبه الله ويرضاه.
11. الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية لا يرفع عن المكلف العقوبة الدنيوية وكذا الأخروية.
12. تحصل بمشيئة الله وإرادته الهداية والضلال، وقد بين الله تعالى للعباد طريق السعادة وطريق الضلال، وخلق فيهم العقل لمعرفة الطريقين وأكرمهم بإرسال الرسل للبيان والنُّصح، وإقامة الحجَّة.
13. من سلك طريق الطاعة أفضى به إلى الجنَّة، ومن سلك طريق المعصية أفضى به إلى النَّار، فالأعمال سبب لدخول الجنَّة كما أنَّها سبب لدخول النَّار.

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقني لإكمال هذه الورقة العلمية، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، **ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:**

1. أهمية الإعتناء بالضوابط التي تعين على فهم العقيدة الإسلامية.
2. هنالك خلل في فهم عقيدة القضاء والقدر عند عوام المسلمين.
3. عقيدة الجبر قد تسللت إلى عقيدة بعض المسلمين في زماننا هذا.
4. الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر من أسباب التكاسل عن أداء الطاعات.

ومن خلال النتائج السابقة توصي الدراسة بالآتي:

1. قيام دورات علمية متخصصة في مسائل القضاء والقدر بالمساجد وأماكن التجمعات العامة.
2. تدريس طلاب المدارس عقيدة القضاء والقدر بنوع من التفصيل.
3. على طلاب العلم أخذ المسائل الغيبية من الأدلة الصحيحة على فهم السلف الصالح.
4. الرجوع في مسائل الإعتقاد إلى أقوال الراسخين من أهل العلم.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. **الأعلام،** للإمام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو (2002 م)، عدد الأجزاء (8).
2. **تفسير القرآن العظيم،** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، بتحقق محمد حسين شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى (1419 هـ)، عدد الأجزاء (9).
3. **الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني،** لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (المتوفى: 1335هـ)، الناشر المكتبة الثقافية – بيروت، عدد الأجزاء (1).
4. **جامع البيان** في تأويل القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى (1420 هـ /2000 م)، عدد الأجزاء (24).
5. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم،** للإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة (1422هـ – 2001م)، عدد الأجزاء (2) (في مجلد واحد).
6. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)،** للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى: 256هـ)، بتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى (1422هـ)، عدد الأجزاء (9).
7. **سنن الترمذي،** للإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1،2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية(1395 هـ / 1975 م)، عدد الأجزاء (5).
8. **سير أعلام النبلاء،** لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (1405 هـ / 1985 م)، عدد الأجزاء (25).
9. **شرح العقيدة الطحاوية،** للإمام صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، بتحقيق: أحمد شاكر، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى (1418 هـ)، عدد الأجزاء (1).
10. **فتح الباري،** للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المتوفى سنة (852هـ)، مطبعة دار المعرفة بيروت سنة (1379هـ) بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، عدد الأجزاء (13).
11. **لسان العرب،** لمحمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، مطبعة دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، (1414 هـ)، عدد الأجزاء (15).
12. **مجموع الفتاوى،** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر (1416هـ/1995م)، عدد الأجزاء (35).

13. **مسند الإمام أحمد بن حنبل** لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى (1421 هـ / 2001 م)، عدد الأجزاء (45).
14. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(صحيح مسلم)**، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون تأريخ للنشر)، عدد الأجزاء (5).
15. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، للعلامة حافظ بن أحمد حكمي، بتحقيق عمر بن محمود أبو عمر، مطبعة دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى سنة (1410هـ – 1990م)، عدد الأجزاء (3).
16. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية(1392هـ)، عدد الأجزاء (18).